

المغرب (الاستغلال الاستعماري في عهد الحماية)

تمهيد إشكالي:

اتجهت سلطات الحماية بعد فرض نظام الحماية على المغرب نحو نهج سياسة الاستغلال الاقتصادي المكثف للأراضي الغربية، فكان لذلك انعكاس سلبي على وضعية الاقتصاد والمجتمع المغاربيين.

• فما هي آليات ومظاهر الاستغلال الاستعماري في عهد الحماية؟

• وما هي انعكاساته على الاقتصاد والمجتمع المغاربيين؟

I - آليات ومظاهر الاستغلال الاستعماري للمغرب في عهد الحماية:

1 - تعدد آليات الاستغلال الاستعماري للمغرب:

خلال سلطات الحماية لآليات مختلفة لتسهيل استغلالها لخيرات المغرب، ومن أهم هذه الآليات:

✓ إقامة بنية تحتية: حيث شيدت سلطات الحماية شبكة من المواصلات الداخلية والخارجية (الموانئ، الطرق، السكك الحديدية، السدود، المصالح الإدارية ...) لتمتين سيطرتها العسكرية، ولربط المناطق الفلاحية والمنجمية بالموانئ، وتسهيل تصريف المنتجات المصنعة.

✓ تشجيع الاستثمارات الأوروبية: حيث أنشئت الإقامة العامة مصلحة التجارة والصناعة، وأسست وكالة المغرب بباريس، وحددت مهمتها في التعريف بمختلف امتيازات الاستثمار بالمغرب لرجال الأعمال الفرنسيين (الإعفاء الضريبي)، وكانت النتيجة تزايد تدفقات الاستثمارات الأجنبية المتواافية على المملكة، سواء منها الاستثمارات الخاصة التي استثمرتها الشركات والأبناك الرأسمالية، أم الاستثمارات العمومية التي دفعتها الحكومة الفرنسية للإقامة العامة.

✓ تشجيع الاستيطان الاستعماري: حيث انتقل العديد من المعمرين من الجزائر وفرنسا نحو المغرب، واستقروا في مناطق حيوية وقدمن لهم فرنسا تسهيلات كبيرة.

2 - تنوع مظاهر الاستغلال الاستعماري للمغرب:

أ - في الميدان الفلاحي:

اكتسي الاستعمار الفلاحي شكلين أساسين، هما:

✓ الاستعمار الرسمي: حيث قامت الإقامة العامة بمصادرة أملاك الدولة والجماعات وتوزيعها على المستوطنين الأوروبيين بأثمان منخفضة، مع تسهيلات في الأداء.

✓ الاستعمار الخاص: استحوذ المعمرون على أراضي الفلاحين المغاربة بوسائل متعددة، كترون الملكية وإجبارهم على البيع تحت الضغط والتهديد أو بوسائل الإغراء والتعهيدات الكاذبة أو بتطبيق نظام الاحفظة العقارية ثم سحب كل أرض لم تحفظ من أصحابها، كما سلبت سلطات الحماية أراضي القبائل التي شاركت في المقاومة ضد الاحتلال إلى غير ذلك من الوسائل.

هذا وقد حظيت الفلاحة الاستعمارية بمختلف أشكال الدعم المالي والعلمي والتكنولوجي، حيث تميزت الأراضي المستولى عليها بتوفيرها على مصادر مهمة من المياه، وعلى خطوط مهمة من المواصلات، هذا ما يفسر تزايد أراضي الاستعمار الخاص أو الرسمي بسرعة كبيرة، بحيث بلغت سنة 1935م ما قدره 840000 هكتار.

ب - في الميدان الصناعي والمنجمي:

شرعت سلطات الحماية عن طريق عدة شركات في استغلال الثروات المعدنية للمغرب، ومن أهم هذه الشركات نجد: المكتب الشريف للفوسفاط، وشركة مناجم بوهران، وأمينيوم شمال إفريقيا وغيرها، وكانت أرباح الشركات جد مرتفعة بالمقابل كانت أجور العمال المغاربة جد منخفضة، كما أن الاستثمارات الاستعمارية في ميدان الصناعة لم تكن تستهدف وضع قاعدة صناعية قوية، ومن أهم الصناعات

التي أقيمت بال المغرب، نجد: الصناعات الغذائية والنسجية والكيماوية والمعدنية، وتمرّر أغلبها بالمدن الساحلية، واحتكرت مدينة الدار البيضاء وحدها سنة 1954م حوالي 75% من تلك الاستثمارات، و 60% من اليد العاملة.

ج - في الميدان التجاري:

كانت المبادرات التجارية تتسم بعدم التكافؤ نظراً لضعف قيمة صادرات المغرب من المواد الفلاحية والمنجمية، وارتفاع قيمة وارداته من المواد المصنعة، مما أدى إلى عجز الميزان التجاري، وكانت معظم المبادرات تتم في المنطقة السلطانية مع فرنسا وفي المنطقة الخليجية مع إسبانيا مما جعل المغرب يخضع للتنمية التجارية.

II - آثار الاستغلال الاستعماري على الاقتصاد والمجتمع المغاربي:

1 - انعكاسات الاستغلال الاستعماري على وضعية الفلاحة والفلاح بال المغرب:

كان للهيمنة الاستعمارية على الأراضي الفلاحية المغربية انعكاسات سلبية على الوضعية الاجتماعية والعيشية للفلاحين المغاربة، وذلك بسبب ترکز الأرضي الخصبة في أيادي المستوطنين والقواد الكبار الموالين لسلطات الاحتلال والشركات الأجنبية، بينما اكتفى صغار الفلاحين المغاربة الذين كانوا يشكلون ثلث الساكنة القروية سنة 1952م باستغلال مساحات ضيقة وفقرة ذات إمكانات زراعية ضعيفة، ناهيك عن خضوعهم لضرائب مجحفة والعمل بدون مقابل، كما كان الفلاحون المغاربة مجرّبين على تقديم منتجاتهم بأثمان حددت من طرف سلطات الاحتلال بأثمان منخفضة، بل وكان من المفروض عليهم تقديم كميات أكبر من إمكاناتهم، وازدادت وضعيتهم تأزماً في الفترات الجافة، وقد تسبيّت تلك التحوّلات في تفاقم الهجرة القروية، فكان لذلك انعكاس سلبي على وضعية المدينة المغربية.

2 - انعكاسات الاستغلال الاستعماري على وضعية الحرفيين والعمال المغاربة:

تعرّض الحرفيون المغاربة لأزمات متتالية، ولم يكن في استطاعة مجموعة كبيرة منهم بتنقيةتهم التقليدية وإمكاناتهم المادية القليلة الصمود أمام ارتفاع أسعار المواد الأولية، بسبب احتكار إنتاجها من طرف سلطات الاحتلال، كما لم يعد في استطاعتتهم مسايرة غزو السلع المصنعة للأأسواق المحلية بأثمان منخفضة، فكانت النتيجة انحسار الصناعة التقليدية والحرف المحلية وتعرض العديد منهم للإفلاس.

كما تعرّض العمال المغاربة لاستغلال كبير من طرف الشركات الأجنبية، وكانت أجراً العامل المغربي في الفوسفاط تتراوح ما بين 10 و 15 فرنك فرنسي في اليوم، وبحدوث أزمة 1929م الاقتصادية انهارت الأجور من جديد ووصلت إلى 3 فرنكات في اليوم سنة 1936م، ولم تتعدي أجراً اليد العاملة النسوية نصف أجراً الرجل، وكانت تعمل الأغلبية الساحقة من العاملين والعاملات كمياومين أو بالقطعة (العطش).

ولكل تلك العوامل حاول العمال المغاربة المطالبة بتحسين ظروف عملهم ووقف عمليات القمع المسلط عليهم من خلال شن إضراب شامل يوم 22 أبريل 1948م، فكان ذلك مبرراً لإدارة الفوسفاط والسلطة لتسليط القمع على العمال المضربين بجلدهم والرمي بهم في السجون، وفي حالة فرار العامل المطلوب فإن أفراد عائلته يتعرضون للحبس لإرغام الفار على تسليم نفسه.

3 - حصيلة الاستغلال الاستعماري في مجالات أخرى:

كان للاستغلال الاستعماري انعكاسات أخرى، يمكن إيجادها في العناصر التالية:

✓ الامتيازات الأوروبية: لقد حصل الأوروبيون على امتيازات اقتصادية واجتماعية وسياسية، من بينها احتكارهم لمداخل الفلاحة والصناعة والتجارة الخارجية، علاوة على استهلاكهم لأربعة أهmas الماء والكهرباء، كما أن نصيبهم في الدخل الفردي يفوق نصيب المغاربة.

✓ ارتفاع أسعار المواد الغذائية: لقد ازدادت الوضعية الاجتماعية للمغاربة تأزماً مع ارتفاع أسعار المواد الغذائية الأساسية كالخنزير والسكر خاصة ما بين 1939م و 1949م والتي تزامنت مع بعض السنوات الجافة.

✓ إجراءات الحماية في المجال الصحي: ركزت سلطات الحماية في المجال الصحي اهتمامها على احتواء وکبح الأمراض والأوبئة، فنهجت المدارس حملة وقائية في صفوف التلاميذ عن طريق التلقيح، لكن تلك الحملة كانت لها محدودية كبيرة لأنها شملت فقط التلاميذ الذين يخترقون الأحياء الوردية.

كل هذا أدى إلى ازدياد فقر وبؤس المغاربة، وازدياد الهجرة من الريف نحو المدن، وظهور بروليتاريا مغربية تعيش في ضواحي المدن في شروط سكنية وغذائية واجتماعية تعيسة.

خاتمة:

إن الاستغلال الاستعماري للمغرب قد مسَّ مختلف القطاعات الاقتصادية، وخدم مصالح الرأسمالية الاستعمارية، وأزم وضعية المغاربة، مما ولد لديهم شعوراً وطنياً بضرورة مناهضة نظام الحماية.